

2020

## التمرد الديني والاجتماعي في شعر أبي دلالة

محمد دوابشه

الجامعة العربية الامريكية, mdawabsheh@aaup.edu

عباس المصري

الجامعة العربية الامريكية جينين, a.masri@aaup.edu

Follow this and additional works at: [https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr\\_b](https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b)



Part of the [Arts and Humanities Commons](#)

---

### Recommended Citation

Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (المصري, عباس (2020) "التمرد الديني والاجتماعي في شعر أبي دلالة and دوابشه, محمد  
مجلة جامعة الخليل للبحوث- ب (العلوم الانسانية) - (العلوم الانسانية) : Vol. 5 : Iss. 1 , Article 10.  
Available at: [https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr\\_b/vol5/iss1/10](https://digitalcommons.aaru.edu.jo/hujr_b/vol5/iss1/10)

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Hebron University Research Journal-B (Humanities) - (العلوم الانسانية) - (العلوم الانسانية) by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarup.edu.jo](mailto:rakan@aarup.edu.jo), [marah@aarup.edu.jo](mailto:marah@aarup.edu.jo), [u.murad@aarup.edu.jo](mailto:u.murad@aarup.edu.jo).



## التمرد الديني والاجتماعي في شعر أبي دلامة

محمد دوابشة -\*عباس مصري

قسم اللغة العربية والإعلام، الجامعة العربية الأمريكية، جنين- فلسطين.

### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التركيز على سلوك غير مقبول دينياً واجتماعياً عند أحد شعراء العصر العباسي المخضرمين، وهو «أبو دلامة»، مستنطقاً أشعاره التي خرج فيها عن عادات المجتمع وتقاليده ومعتقداته، فوصل بها إلى درجة التمرد، وهو سلوك يتصف في جزء منه بالعداء والكراهية لمجتمع العصر الذي عاش فيه، كما يركز البحث على الأسباب والدوافع لهذا التمرد ونتائجه الاجتماعية والدينية؛ من خلال دراسة أشعار الشاعر ومناقشتها وتحليلها، معتمداً المنهج الوصفي التحليلي كونه أقرب المناهج لدراسة الموضوع.

### Abstract :

This research sheds light on a behavior which is unacceptable neither socially nor religiously for «Abu Dulama» who lived in both the Umayyad and Abbasid eras.

This will be through studying his poetry in which he turned away from his society's beliefs, habits and traditions, so he became rebellious – a behavior which carried hatred and enmity to the society that he lived in. The research also looks for the reasons for this rebelliousness and its social and religious results through studying and analyzing his poetry following the analytic and descriptive method since its the best method for studying this topic.

## المقدمة:

يختلفُ العصر العباسي عن غيره من العصور لأسبابٍ شتى ، منها: السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية ، وكل له أسبابه ودوافعه ونتائجه . وبتاسع رقعة الدولة العباسية، ضعف مركز الخلافة في بغداد وتخلخل نظامُها، فظهرت الثورات في مناطق مختلفة، ممّا أدى إلى ظهور التمرد في بعض مناطق الدولة، كردة فعل على الانحرافات والتجاوزات ، فظروف الحياة في المجتمع العباسي، قد هيأت لظهور تيار المجون وانجراف بعض شعراء العصر فيه ، فسرعان ما اصطبغ المجون بصبغه الزندقة . ولم تكن الزندقة في هذه الحالة فلسفة أو موقفاً اعتقادياً متكاملأً، بل كانت مجرد وصف إضافي للماجن، وسلوك من سلوك الظرفاء والمتظرفين .

يُميز حياة الشعراء في هذا العصر عن سابقة، الاستقرار والترف؛ إذ تعددت ثقافتهم وتنوعت معارفهم، ممَّا أغنى مداركهم، ووسع مخيلاتهم وأرَّهف مشاعرهم، ورقق إحساسهم <sup>(1)</sup>، فقد كانت سياسة العصر السابق مجحفة بحقوق الناس - أحياناً -، إذ استأثر بعض الحكام الأمويين بموارد الدولة وبذروا وأسرفوا وصرقوا أموال الدولة في ما لا طائل منه، فجاءت صورتها سلبية في بعض المواقف، ممَّا ساعد على النقمة ضد الحكم، وخلق أرضية صالحة لنمو الثورات ونشوبها، فحرك مشاعرهم وأحاسيسهم بعد أن رأوا قضاياهم الإنسانية والحياتية في خطر شديد <sup>(2)</sup>، مما مهَّد الطريق أمام بعض الحركات والأحزاب ذات العلاقة للظهور، فظهرت حركة الزهد؛ بسبب الاختلال السياسي والديني والاجتماعي، يضاف إلى أنها دفعت بعض الشعراء إلى التمرد؛ ذلك أن قوماً ما، يتسوا من الغنى، ورأوا أن نفوسهم لا تطاوعهم للقرب من ذوي الجاه، أو حاولوا ذلك ففشلوا، فلجأوا إلى القناعة بروضون أنفسهم عليها... وقوماً عافت

نفوسهم ما رأَت من شهوات وشهوات، وللوصول إلى كل شهوة متاعب وعقبات؛ ففضلوا أن يقيموها<sup>(3)</sup>. فشعر الزهد بلغ ذروته في العصر العباسي؛ لأسباب سياسية واجتماعية وفكرية، علاوة على الفوضى الدينية وتيارات الزندقة والإلحاد وبعض المذاهب والديانات الأعجمية المختلفة<sup>(4)</sup>.

كما يميز العصر العباسي الأول كثرة شعراء المجون، وما يرتبط به من وصف الخمرة؛ لأسباب مختلفة، منها أن كثرة الشعراء كانوا من الفرس في هذا العصر، وكثرة الملل والنحل، يضاف إلى ذلك كثرة الرقيق ودور النخاسة<sup>(5)</sup>، وإذا كان المجون والعبث والزندقة وغير ذلك من الانحرافات الأخلاقية، قد شاعت في العصر العباسي، فليس معنى ذلك أن المجتمع كان بمجمله منحلاً، وأن الناس قد تخلوا عن حياة الطهر والفضيلة والاستقامة، وإذا كانت حانات الكرخ في بغداد ودور النخاسة والديارات وحتى قصور الخلفاء وأولي الأمر قد اكتظت بالجواري والإماء والقيان، فإن مساجد بغداد كانت عامرة بالنسك والعباد والقراء وبأولئك الذين اتقوا الله واستشعروا تفاهة هذه الدنيا، فلم تشغلهم زخارفها<sup>(6)</sup>.

إنَّ التمرد في طبيعته ثورة على الواقع الذي يعيشه الشخص ؛ فالثورة والتمرد انعكاس لشخصية الشاعر أو الثائر أو المتمرّد فهو « تعبير عن نقمة شعبية عارمة على نظام حكم فاسد طاغ، أو صراع فكري وديني، أو انحراف اجتماعي وانحلال أخلاقي»<sup>(7)</sup>، والرفض للواقع والتمرد عليه ليس جديداً على العصر العباسي ، فقد وجد في الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي ، وما الصعلكة إلا دليل على ذلك ، وهذا يقودنا إلى أن شعر الثورة أو التمرد «يعتبر ظاهرة من ظواهر الوعي البشري ، وعملية رفض للواقع المنحرف المعاش سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو فكرياً أو دينياً ، وقد تجلّى هذا الرفض

دولة بني أمية، وبالتالي فإن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية هي أسباب ثانوية، وهي نتيجة طبيعية للنظام السياسي القائم.

#### الشاعر: حياته وسلوكه :

تتميز المصادر والمراجع التي ترجمت لأبي دلالة، بتكرار ما أورده عنه الأصفهاني في أغانيه (12) فهو عند الأصفهاني، زُند بن الجُون، وأكثر الناس يُصَحَّف اسمه فيقول « زيد » ؟ بالياء ، وذلك خطأ، وهو زُند بالنون ، وهو كوفي أسود ، مولى لبني أسد، كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض، فأعتقه وأدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم نباهة، ونبغ في أيام بني العباس ، وانقطع إلى أبي العباس وأبي جعفر المنصور والمهدي ، فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبيون مجالسته ونوادره، وقد انقطع إلى رُوح بن حاتم المهلبّي أيضاً في بعض أيامه ، ولم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبي دلالة من المنصور خاصة ، وكان فاسد الدين، رديء المذهب ، مرتكباً للمحارم مُضيعاً للفروض ، مجاهراً بذلك ، وكان يُعلم هذا منه ويُعرف به ، فيتجافى عنه للطف محله وكني أبا دلالة باسم جبل بمكة يقال له أبو دلالة كانت قريش تتد فيه البنات في الجاهلية، وهو بأعلى مكة (13)، ، بينما يصفه ابن المعتز بأنه « كان ماجناً خليعاً » (14) وهذا ما كرره النويري في نهاية الأرب (15) ، وأخبره قليلة في العصر الأموي، وبخاصة أنه كان عبداً حبشياً؛ إذ إن العبيد والموالي، لم يكن لهم كيان في عهد بني أمية (16). والراجح أنه ولد في نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري ، أما وفاته فالراجح أنها كانت عام 161هـ (17).

#### أولاً: التمرد الديني :

الْتَمَرْدُ لُغَةً : مَرَدٌ عَلَى الْأَمْرِ ، بِالضَّمِّ ، يَمَرُدُ مَرُوداً وَمَرَادَةً ، فهو مَارِدٌ وَمَرِيدٌ ، وَتَمَرَّدَ : أَقْبَلَ وَعَتَا ، وَالْمَرِيدُ : الشَّدِيدُ الْمَرَادَةِ مِثْلُ الْخَمِيرِ وَالسَّكِّيرِ ،

منذ الجاهلية ، خاصة عند جماعة الصعاليك» (8)، ويرجح الجهشيارى أن الأوضاع الاقتصادية كانت في طليعة الأسباب التي قادت إلى الثورة والتمرد؛ كون المجتمع العباسي قد ضمّ فئات وأجناساً شتى، عاش كل منهما في مستوى معيشي معين، فكان فيه العربي والفارسي والتركي والرومي والزنجي، وتعددت بذلك اللغات المحكية، وكان لا بد في هذا المجتمع المتعدد الجنسيات من حصول تباين واختلاف في الأهداف والاتجاهات، والميول والتطلعات، حتى بين أفراد الجنس الواحد، فالأوضاع الاقتصادية هي ميزان العلاقات بين أفراد المجتمع وبين الطبقة الحاكمة فيه (9)، بينما يرى طه حسين أن أسباب التمرد ترجع إلى الازمة السياسية التي مر بها هذا العصر ، فقد أثرت في الأخلاق وفي الحياة العقلية ، ومضى المندفعون إلى أقصى حدود الإسراف والحرية التي تتجاوز فيها الحدود المعقولة ، وأسرفوا في العبث والمجون في الحياة العملية ، وجهروا بالآراء التي تخالف الدين في آرائهم وحياتهم الفعلية ، كما خرجوا كذلك عن التقاليد الفنية التي ألفوها (10)، في حين يرى عز الدين إسماعيل أن هناك تكاملاً بين الأسباب السياسية والاقتصادية أدت إلى الثورة والتمرد على الواقع المعاش آنذاك، فإذا كنا نرى الخليفة المهدي يسمح لنفسه بلون من ألوان اللهب، وفي الوقت نفسه يحمل أكبر حملة على الزندقة، فهذا مؤشر على اتجاه الدولة آنذاك، فهي لا ترفض اللهب ومجالس الطرب، حيث يكون افتتان الشعراء في شعر الغزل وحيث تكون براعات الملحنين والمغنين، ولكنها ترفض أي دعوة مذهبية، لذلك فإن الزندقة الاعتقادية كانت تجر على أصحابها الويلات، إذا انكشف أمرهم- أما الزندقة الاجتماعية المجونية فلم تكن لها- في منظور الدولة خطر كبير (11)، ولكننا نرى أن السبب الأساس يكمن في سياسة الدولة، وعلاقتها بأفرادها وبخاصة أنها قامت على أنقاض



العامة، ودلالة الأخبار على فعل ذلك استخدامه لمجموعة من المفردات، تؤكد أنه مجبر عليها، وهنا فرق شاسع بين ما فرضه الله - سبحانه وتعالى - على عباده من فرائض وسنن، والتكليف بعمل شيء محدد في زمن محدد ينتهي أثره بانتهاء الحدث. فهي وإن كانت تعليمات الخليفة تكليفاً للشاعر، إلا أنه يعدّها ثقيلة عليه، فهو يناقض نفسه ويعكس بيئته من خلال رفضه العمل وفق المفهوم الديني، وتمسكه بالقشور والشكليات التي تؤكد رفضه للواقع الذي يعيشه.

لجأ أبو دلالة في هذا المقطع، إلى أسلوب النفي بوصفه أحد خيارات التركيب الذي ظهر في شعرة بشكل واضح، وأسهم في تعقيد الجملة وحوّلها من جملة بسيطة إلى مركبة، وقد توسع في مفهومه في شعره فتجاوز « معنى الطرح والإخراج والاقتطاع »<sup>(25)</sup> وقدم طرائق تعبيرية شتى من الناحية التركيبية؛ لتتلاءم مع تجربته الخاصة، لذا ألح الشاعر على هذا الأسلوب في كثير من المواضع؛ ليعزز المعنى المراد في ذهنه وتثبيته في ذهن المتلقي، كما جاء النفي بديلاً تعبيرياً؛ ليعوض عن حالات مثبتة غائبة، لم يجد ما يستخدمه للتعبير عنها، فلجأ إلى النفي المكثف.

كما نجد التمرد في اختياره لمفردات القافية والموسيقى الناتجة عنها وتكرار الراء المكسورة في نهاية الأبيات كما في قوله: « وللقصير - الخمر - أجز - وزري - أمري » كلها دلالة تشير إلى الاستمرارية، على الرغم من كونها دنيوية صرفة، وتلبية لطموح مؤقت يريده الشاعر وكذلك اجتماع الياء مع الكسرة، أحياناً، في نهاية القافية توحى بغرضين: المد والاستمرار للفعل الذي يقوم به بصرف النظر عن حبه أو كرهه لذلك العمل، وتحملها لصوت المعاناه والأنين؛ لأن الياء من أحرف العلة القوية فتبلغ قمة المعاناة عنده إذا ما رافقتها الكسرة، فحياته تتمثل من خلال قوله

يُكَلِّفُنِي مِنْ بَعْدِ مَا شَبْتُ تَوْبَةً

إدراكه أن مجتمعه لا يقبل منه هذا المسلك، كما أن النص ترجمة لنفسية الشاعر، الذي يعيش في صراع نفسي واضح، فهو بين ما يطلبه الدين وما تطلبه نفسه، فتمرده هنا ربما يُشعر القاريء أنه على عداء مع الدين، وبخاصة حينما يقر ذلك في قوله: « أصليهما بالكراهة ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدري - والله مالي نية في صلاته » « فهو مكروه على ذلك وإن فعل .

استخدم الشاعر أنماطاً مختلفة من الجملة الفعلية؛ ليناسب الدلالات والمعاني التي عبر عنها، من خلال المزاوجة بين الأفعال الماضية مرة والمضارعة أخرى، فالفعل دعامة أساسية من دعامات الجملة؛ إذ إن « غياب الفعل خاصة يجرّد الصرح اللغوي من الأساس الذي يدعمه »<sup>(23)</sup>، وبما أن الشاعر يعبر عن أحوال ودلالات ومقامات تتنوع بين ثبات وحركة وصراع ذهني خارجي وداخلي، فقد لجأ إلى هذه الصيغة من الأفعال، إذ ورد في هذا المقطع أربعة عشر فعلاً، منها ستة ماضية وثمانية أفعال مضارعة، فجاءت قيمة الأفعال من خلال عنصر الزمن الذي يلازمها، ثم يختم كلامه بالبيت الأخير الذي يتظارف فيه، فيتساءل - وهو يدعو للمنصور بغفران ذنوبه - ماذا يمكن أن يضير المنصور نفسه لو كانت ذنوب العالم كلها على ظهر أبي دلالة، مثل هذا القول لم يكن يؤخذ على أنه زندقة حقيقية، بل كان يحمل على الزندقة المجونية، التي تستهدف التظرف<sup>(24)</sup>.

يبدو تمرد الشاعر في هذه الأبيات واضحاً، بخاصة، حين حاول تبرير عدم اهتمامه بالصلاة وزيارة المساجد، علماً أن تبريره لا يرقى لمستوى الإقناع، فهو يخاطب السامع؛ ليعكس جانباً من الواقع العام في عصره، ويمثل فئة من الشعراء الذين يعيشون في الظروف نفسها، فيقول: ألم تريا؟ والرويا هنا دليل يتمسك به للدفاع عن تمرده وخروجه عن التعاليم

يخرج فيه عن قيم الإسلام وتعاليمه السمحة من خلال بعض الأبيات التي يندى لها جبين الأدب العربي، يقول :

غَادَ هَذَا الْكَبَابُ كُلَّ صَبَاحٍ  
مِنْ مُتُونِ الْفَتَيَةِ السَّحَاحِ  
فَتَقَوَّى ذَا الضَّعْفِ مِنْكَ وَتَلْفَى  
عَنْ لَيَالٍ أَصَحَّ هَذِي الصُّحَا  
ذَا شِفَاءٍ وَدَعَّ مَقَالَهَ هَذَا  
نَاكَ ذَا أُمِّهَ بَايِرَ رِيَا ح (30)

من يقرأ مثل هذه الأبيات لا يتوقع أن قائلها عاش في مجتمع إسلامي، فهو لا يقر بشربه للخمر وإنما يصر عليها ويتحدث عن فوائدها، كما أننا نجد في الشطر الثاني يتلفظ بألفاظ لا نجد مثيلاً لها إلا في الشعر الجاهلي، وربما الذي جعله يتلفظ بهذه الألفاظ، هو ارتباط الجواري آنذاك بمجالس الشرب والغناء، وبخاصة أن ذلك المجتمع كان يفضل الجواري على الحرائر، لما فيهن من ميزات لا يحقونها في الحرائر لجمالهن وظهورهن على الرجال، إضافة إلى ثقافتهن، وقد غلب على هذا المجتمع - مجتمع الجواري - الاستمتاع باللهو واللذة وشرب الخمر، فتحررت الصلة بين الرجل والمرأة، فلم يكن الوصول إليها عسيراً بل سهلاً ميسوراً<sup>(31)</sup> وهذا الأمر هو الذي جعل أبا دلامة ينطق بمثل هذه الألفاظ، يقول في قصيدة أخرى

صف فيها الخمرة

سَقَانِي أَبُو بَشْرٍ مِنَ الرَّاحِ شَرِبَهُ  
لَهَا لَذَّةٌ مَا ذُقْتُهَا لِشَرَابٍ  
وَمَا طَبَخُوهَا غَيْرَ أَنْ غَلَامُهُمْ  
سَعَى فِي نَوَاحِي كَرَمِهَا بِشَهَابٍ (32)

كان بعض الخلفاء الذين عاصروهم الشاعر يحبون العبث معه على الرغم من معرفتهم بسلوكه الديني، وربما أن هذا الأمر هو الذي شجع الشاعر، كما

يَحْطُّ بِهَا عَنِّي الْمُنَاقِلَ مِنْ وَزْرِي  
لَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِي مَسَاجِدَ جَمَّةٌ  
وَلَمْ يَنْشُرْحْ يَوْمًا لِعَشْيَانِهَا صَدْرِي  
وَاللَّهُ مَا لِي نِيَّةٌ فِي صَلَاتِهِ  
وَلَا الْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ وَالْخَيْرُ مِنْ أَمْرِي (26)

وهناك بعض المواقف في ديوانه تدل على استخفافه ببعض قضايا الدين سواء في حضرة الخليفة، أم في أوقات عادة ما يكون فيها الشخص بحاجة إلى ربه، مثل حالات الوفاة، قيل: «إِنَّ حَمَادَةَ بنت عيسى تَوَفِّيَتْ وحضر المنصور جنازَتَهَا، فلمَّا وقف على حَفْرِهَا قال لأبي دُلَامَة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمِّك يا أمير المؤمنين حَمَادَةُ بنت عيسى، يُجاء بها الساعة فتَدْفَنُ فيها ، فضحك المنصور حتى غلب، فستر وجهه»<sup>(27)</sup>، ويمكن تفسير هذه الحالة الساخرة الهزلية لأبي دلامة، أنه كان يجد أحياناً الراحة النفسية، من خلال مآزحاته «فاللذة الكبرى التي يجدها المرء في الفكاهة والضحك إنما ترجع في الجانب الأكبر منها إلى الشعور بالتححرر من الواقع والتحلل من الحياه الجدية عن طريق الهزل والفكاهة والمزاح، ونظراً لما في المواقف الفكاهية من إنكار للواقع أو تجاهل له، فقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن الفكاهة تقوم في حياتنا النفسية بدور أو وظيفة تشبه إلى حد ما وظيفة اللاشعور»<sup>(28)</sup>، فالفكاهة تلعب دوراً مهماً في حياة بعض الناس بإنكارها للواقع أحياناً واستبعادها للآلم أحياناً أخرى، فالإنسان مزود بالإمكانات للتهرب من الشدائد وبعض المواقف، فيلجأ إلى السكر أو الضحك أو الفكاهة؛ كي يتحرر من الآلام والمعاناة، فتعيد إليه توازنه النفسي ولو لحين، وهذا ما كان يحصل مع شاعرنا، وبخاصة أنه يوجد كثير من الأبيات في ديوانه، تشير إلى هذا الجانب<sup>(29)</sup>.

في نفسه؛ لأسباب شخصية واجتماعية إلى رغبة مكبوتة ترتفع في نفسه إلى مستوى يتسامى فوق عادات المجتمع وتقاليده، وصراع خارجي يدور في القصيدة بين الشاعر والمجتمع، كما في قوله:

جَاءَ شَهْرُ الصَّوْمِ يَمْشِي مَشْيَةً مَا أَشْتَهِيهَا  
قَائِداً لِي لَيْلَةَ الْقَدِّ رِكَائِي أَبْتَغِيهَا  
تَنْطَحُ الْقُبْلَةَ شَهراً جِبْهَتِي لَا تَأْتِلِيهَا  
وصبوحَ وَغَبوقٍ في عِلَابٍ أَحْتَسِيهَا<sup>(36)</sup>

يورد المرتضى في هذا المقام: «نشأ جماعة ممن يتستر بإظهار الإسلام، ويحقن بإظهار شعاره والدخول في جملة أهله ودمه وماله، زنادقة ملحدون وكفار مشركون؛ لأنهم يدخلون في الدين ويموهون على المستضعفين، بما يظهره من لباس الدين، هم فيه على الحقيقة عار»<sup>(37)</sup>، ونحن لا نستطيع أن نلصق مثل هذه التهم بأبي دلالة، كالإلحاد والزندقة والكفر، كما أورد المرتضى، ولكن يمكن وصف الشاعر، لأسباب نفسية واجتماعية بالمتنمر؛ بسبب خروجه في بعض السلوك العامة كغيره من الشعراء، فكانت الخمرة ملاذاً ومهرباً له، كما هو الأمر عند بعض شعراء عصره، يقول:

وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَاناً في فَيَافِيٍّ وَجِيهَا  
في لَيَالٍ مِنْ شِتَاءٍ كُنْتُ شَيْخاً أَصْطَلِيهَا  
قَاعاً أَوْ قَدْ نَاراً لَضَبَابٍ أَشْتَوِيهَا  
مَا أَبَالِي لَيْلَةَ الْقَدِّ رِ وَلَا تُسْمِعُنِيهَا  
فَاطْلُبِي لِي فَرْجاً مِنْهَا وَأَجْرِي لَكَ فِيهَا<sup>(38)</sup>

استطاع الشاعر أن يجعل من قصائده صورة صادقة من حياته، فقد أسقط عليها كثيراً من مشاعره، وعكس من خلالها معظم تجاربه النفسية التي انتهت به إلى رؤية خاصة، حققت له قدراً من اللذة الحسية، بما تشيعه في نفسه من مرح وفكاهة واستهتار، فهو يعرض ما يثور بنفسه من صراع بين إقباله على الخمر واستمناعه بها، وبين تحريم

شجع غيره على التماسي في التمرد والثورة على المجتمع، وهذا ما رواه صاحب الأغاني في قوله: «إن أبا العباس كان يحب العبث بأبي دلالة، يسأل عنه، فيوجد في بيوت الخمارين لا فضل فيه، فعاتبه على انقطاعه عنه؛ فقال: إنما أفعل ذلك خوفاً أن تملني، فلم أنه يحاجزه، فأمر الربيع أن يوكل به من يحضره الصلوات معه في جماعة في الدار»<sup>(33)</sup>.

إن الأبيات التي خرج بها الشاعر على الدين الإسلامي جعل أبا الفرج يصفه بأنه فاسد الدين، رديء المذهب، وربما اعتمد الأصفهاني على بعض الأبيات التي خرج فيها عن المألوف، إذ يتمنى في بعض أبياته لو كان بينه وبين الصوم من غلظ الأرض وحزونها ما يحول دونه؛ فيشعر القارئ أحياناً بأن الشاعر بعيد عن تعاليم الدين الإسلامي، وبخاصة في صلب عقيدته، كالصلاة والصوم وليلة القدر، يقول:

أَضْحَى الصَّيَامُ مُنِيخاً وَسَطَ عَرَصَتِنَا  
لَيْتَ الصَّيَامَ بَارِضٍ دُونَهَا حَرَشُ  
إِنْ صُمْتُ أَوْ جَعَنِي بَطْنِي وَأَقْلَقَنِي  
بين الجَوَانِحِ مَسَّ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ<sup>(34)</sup>

فشدة بغضه رمضان، فتحت أفقاً رحباً لدى الشاعر في التعبير عن إحساسه الذي يعيشه، بخاصة حين يتمنى عدم وصوله للأرض التي يعيش فيها الشاعر، وإن وصل يكن بينه وبين الصوم مسافات شاسعة يفصلها تلال وهضاب وجبال تحول دون اختراق ذاك الشهر وما فيه من فرائض؛ لأن وصوله يسبب للشاعر الأرق والألم والهم؛ بسبب الصيام، والذي هو - دينياً - طاعة من طاعات الله سبحانه وتعالى، «ولا نذهب بعيداً إذا قلنا إن الاتجاه الماخن في القرن الثاني للهجرة كان يمثل أعلامه من الشعراء»<sup>(35)</sup>، إن تجربة الشاعر هنا تقوم على نوعين من الصراع؛ صراع داخلي بين الجسد والروح، صراع يتحول

النكايّة، بذية العبارة في بعض الأحيان، حتى أن تمردته على تعاليم الإسلام من جانب والواقع الذي يعيشه في عصرها من جانب آخر، جعل من حياته واقعاً مليئاً بالنفي، تمثل في الذات (الأنثى) ومحاولة انزياحها عن الجميع (نحن) من خلال الألفاظ التي يوردها في سياق الأبيات التي يقول فيها:

ما لَيْلَةَ الْقَدْرِ مِنْ هَمٍّ فَأَطْلُبُهَا  
إِنِّي أَخَافُ الْمَنَاءَ قَبْلَ عِشْرِينَا  
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَدْ كَسَّرْتَ أَرْجُلَنَا  
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ حَقًّا مَا تُمَنِّينَا  
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي خَيْرٍ أَوْمَلَهُ

في لَيْلَةِ بَعْدَ مَا قُمْنَا ثَلَاثِينَ<sup>(40)</sup>

نلاحظ في هذه الأبيات، ظاهرة التكرار من خلال «ليلة القدر» والتكرار يخدم وظيفة مهمة في السياق الشعري، ويكون تأكيداً للدلالات معيّنة تعزز الفكرة المراد إيصالها، واللفظ المكرر بوجه عام مصدره الثورة وهدفه الإثارة حباً أو بغضاً في أي غرض من أغراض الكلام، وهو مرتبط بقانون التردد في قوانين تداعي المعاني، ولذا يعد وسيلة تربوية من وسائل التقرير<sup>(41)</sup>، فقد خرج الشاعر في هذه الأبيات بأسلوب النداء عن أصل استعماله، ووظفه لتأدية المعاني التي تنسجم مع توجهاته ورؤاه، وتعبّر عن سيطرة هاجس الفوضى الدينية - إن جاز لنا التعبير - على نفسه، ونلاحظ في هذا المقطع كثيف الإيقاع الداخلي من خلال كلمة «ليلة» التي استغلها من خلال الإنشاء الطلبي، لا من حيث استعمالها للتعبير عن معانٍ تؤديها فقط، وإنما عن معانٍ وحالات نفسية، تتناسب مع رؤية الذاتية وتجربته الخاصة.

وإذا ما عرفنا أن الشاعر نشأ في الكوفة، فلا نستغرب منه هذه الأقوال، فقد كانت الكوفة واردة المجون والحياة المترفة زمن الأمويين، فالغناء ومجالس اللهو والقيان، انحدرت من الحجاز ومكة والطائف، يضاف إلى أنها ورثت حضارة الحيرة التي كانت قبل

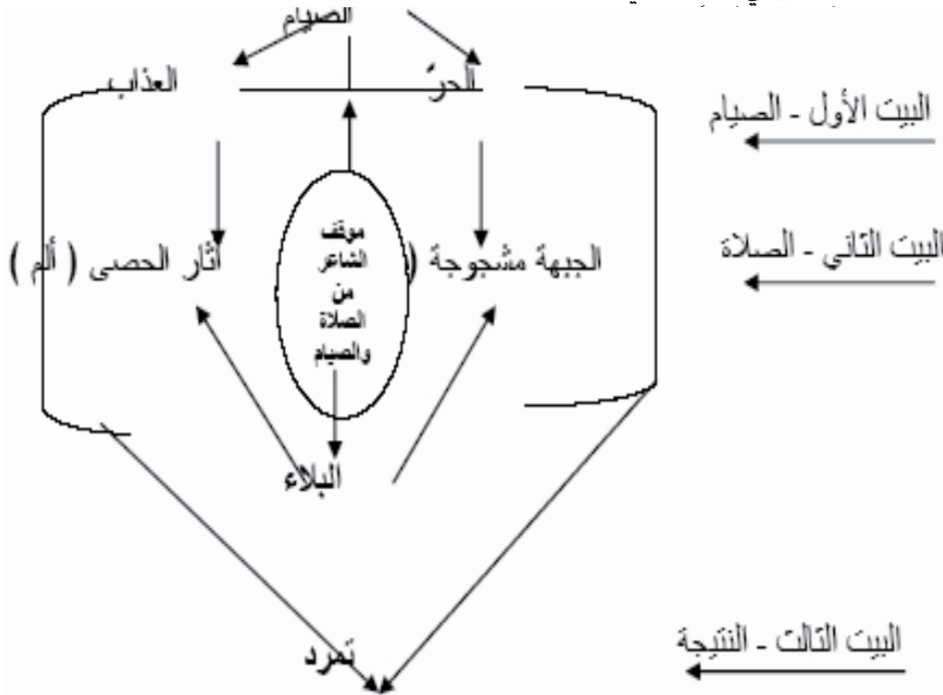
الإسلام لها، عرضاً يؤدي إلى تغليب نشوته ولذته على دينه، والاستخفاف بقواعده وحدوده في سبيل الفوز بالمتعة والنشوة، فالراجح أن أبا دلامة كان ضعيف الدين، قليل الحيلة، لا يعمل عملاً إلا إذا كان له الأجر المادي المسبق، فلم تؤثر فيه تعاليم الدين، لم يتمرد الشاعر على السلطان أو السلطة الحاكمة، وإنما كان له موقف من الدين الإسلامي أولاً ومن المجتمع ثانياً؛ وكان هناك عداً بينه وبينهما.

وتركيزه على أدوات النفي «ما أبالي» لا تسمعيها - ما اشتبهها، دليل واضح على أنه مقتنع بما يقول، وقد اتكأ الشاعر هنا على البناء القصصي، ولعل اعتماده على هذا الجانب هو الذي دفعه إلى الإكثار من الأفعال الماضية كما في قوله «جاءت - عشت - كنت»، كما لجأ الشاعر إلى الأساليب الخبرية وأكثر من صيغ التنكير التي تحمل معنى الإبهام والتعميم مع أسلوب الرفض والنفي، فالذي يساعد على الدخول في عالم هذا النص ليس معرفة غرضها أو مناسبتها بل هو إضاعتها وكشف أسرارها اللغوية وتفسير نظام بنائها وطريقة تركيبها وإدراك العلاقات فيها، وهذا ما كشفت عنه هذه القصيدة، فالمعطيات التعبيرية النفسية المبينة على تألف المفردات جاءت صرخة مدوية لرفض الواقع الديني في فكر أبي دلامة.

إن الأبيات التي خرج بها الشاعر عن التعاليم الدينية، لها أكثر من دلالة وأكثر من تفسير، فقد تكون النشأة التي نشأ بها أبو دلامة، ومكانته الدنيا، هي السبب في هذا التمرد، فقد كان مولى وكان أبوه عبداً، فلا نسب يفخر به، وديوانه يشهد بذلك، فهو وضع الأصل، ووضع النشأة، ووضع المنزلة، وهو ليس بفارس شجاع، وقصته مع مروان بن محمد مشهورة<sup>(39)</sup>؛ وربما كان كسول النفس ضعيف الدين، وبخاصة أن نشاط الشعبوية أخذ يزداد في تلك الفترة، فلذلك نجد تمرد صارماً ثقيلاً شديداً

أَسْلَفْتَنِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ الْمُرْصَدِ<sup>(42)</sup>  
والمتمعن في هذه الأبيات، يرى أن الشاعر قد استغل  
جرس الألفاظ والكلمات؛ لتؤدي غرضاً فنياً بلاغياً  
، إذ شاكل بين الأفاظه ومعانيه مشكلة دقيقة، وشدد  
على التوافق الصوتي بين الحروف والكلمات، كما  
في الرسم التوضيحي المرفق:

الإسلام موطن اللهو والترف، فأصبحت لظروف  
خاصة موطن طلاب اللذة ورواد المتعة، يقول:  
وَلَقَيْتُ مَنْ أَمَرَ الصَّيَامَ وَحَرَّهُ  
أَمْرَيْنِ قَيْسًا بِالْعَذَابِ الْمُؤَصَّدِ  
وَسَجَدَتْ حَتَّى جِبْهَتِي مَشْجُوجَةً  
مِمَّا يَنَاطِعُنِي الْحَصَا فِي الْمَسْجِدِ  
فَأَمَنْنُ بِتَسْرِيحِي بِمَطْلِكَ بِالَّذِي



يكفي لاصدار حكم عام في قضية عقدية؛ لذلك نرى  
أن الشاعر كان - كما كان غيره - في ذلك العصر  
يرجّح عن نفسه في ظل الملذات واللهو والمجون في  
أوقات معينة، ولم يكن متزنديقاً بمفهوم الزندقة،  
ثم إن ما قاله - وهو الشاعر - لا يعبر بالضرورة  
عما فعله، وإن كان في نفسه شيء منه.

وهذا تصوير بلاغي تجسد في شعره الوصفي لشهر  
رمضان وليلة القدر فيه ( الدين الإسلامي )، فهو  
وإن كره الفعل وتمرد عليه، نجده يمارسه مغرماً  
لغاية في نفسه، لا حباً فيه.  
لا نستطيع أن نجزم بأن الشاعر كان متمرداً على  
الدين الإسلامي، وإن خرج على تعاليمه في بعض  
الأحيان، ولكنّ الراجح أن أبا الفرج، وهو أول  
من وصفه بصفات سيئة خارجة عن الدين، اعتمد  
على ما أورده هو نفسه من أقوال وأشعار، وهذا لا

### الجانب الاجتماعي :

ساد المجتمع العباسي تيارات مختلفة من اللهو والمجون وانتشرت دورهما ، وكانت تزخر بالخمير والغناء والقيان والغلمان ، وهذا ما لخصه لنا طه حسين في قوله : « لم يكد يبتدئ القرن الثاني حتى ظهر المجون وانتشر ووصل إلى قصور الخلفاء ، ثم كانت ثورة العباسيين ، فتم انتصار الفرس على العرب ..... فتم انتصار العبث والمجون » <sup>(43)</sup> ، وعقد أنيس المقدسي فصلاً خاصاً في كتابه « أمراء الشعر العربي في العصر العباسي » جاء بعنوان « بعض صور اجتماعية يعكسها الأدب العباسي » أورد فيه كثيراً من الأشعار والأقوال التي تنسب لذلك العصر ، وتصور ذلك العصر تصويراً واضحاً ، وكيف أن الأدب والشعر بخاصة صور ذلك اللهو والمجون والتيارات التي ساعدت على ذلك ، وما أعادته هنا إلا من باب التكرار <sup>(44)</sup> ، وكذلك فعل حسين عطوان في بداية كتابه: مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول.

ولا نعلم العصر العباسي الأول إذا قلنا إنّ الله كان شائعاً بين أفراد الطبقات المتباينة ؛ بتأثير العوامل الاجتماعية المختلفة ، وليس ضرورياً لمن يريد أن يستبجح محرماً أن يجهر به بالاعتماد على قول النبي الكريم - محمد صلى الله عليه وسلم - « إذا ابتليتم فاستتروا » ، إلا إذا كان له هدف آخر ، وهذا ما نلمحه في شعر أبي دلامة الذي يدعو فيه إلى شرب الخمر ، لأنها تشفي صاحبها من الأسقام . جاء في الأغاني « حينما عاد أبو دلامة إسحاق الأزرق ، أحد أمراء العصر العباسي الأول ، وكان قد مرض مرضاً شديداً ، وعند إسحاق طبيب يصف له أدوية تقوي بدنه ، فقال أبو دلامة للطبيب : يا ابن الكافرة ! أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ! ما أردت ، والله ، إلا قتله ، ثم التفت إلى إسحاق ، فقال : اسمع أيها الأمير مني ، قال : هات ما عندك يا أبا دلامة ،

فَانْشَأْ يَقُولُ :

فَإِذَا مَا عَطِشْتُ فَأَشْرَبُ ثَلَاثًا  
مِنْ عَيْقٍ فِي الشَّمِّ كَالْتَفَاحِ  
ثُمَّ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَأَعْكِفُ عَلَى ذَا  
وَعَلَى ذَا بِأَعْظَمِ الْأَقْدَاحِ  
فَتَقْوِي ذَا الضَّعْفَ مِنْكَ وَتُلْفِي  
عَنْ لَيْلٍ أَصَحَّ هَذَا الصَّحَاحِ (45)

لقد اعتمد الشاعر هنا على فعل الأمر « اشرب - اعكف» بما يحمل من لهجة خطابية واضحة، والخطاب الأمري هنا جاء على وتيرة واحدة، وهي النصح والإرشاد- من وجهة نظره - لذلك يقدم قناعاته في ثوب النصيحة واستخدم الفعل للمفرد المخاطب، وفي المقابل يقدم الدليل والحجة على صحة ما يذهب إليه كما هو الأمر في البيت الثالث؛ والجانب الترتيبي في الأبيات وبخاصة بداياتها( الفاء / فإذا- ثم - الفاء / فاشرب / ثم- الفاء / فاعكف / عند الفاء / فتقوي)، ساعد على إبراز القيمة التعبيرية للكلمات وبالتالي إحداث الأثر المطلوب في فكر المجتمع، وتكشف أيضاً عن حالة اجتماعية نفسية، من خلال العلاقة التأثرية المتبادلة بين الشاعر والمجتمع، فكانت ردة فعل صريحة وعنيفة في الوقت نفسه. ونجد تفسير هذا في علم النفس الحديث (وكثيراً تقف البيئة في سبيل إشباع دوافع الفرد، فتشعر بالتهديد والخطر، ويتكون دافع الخوف الذي إذا زاد على مستوى قدرة الاحتمال، يتحول إلى قلق يسيطر على سلوكه وشخصيته عامة) (46).

تأثر كثير من أدياء العراق وشعرائه، وبخاصة في البصرة بالحياة الاجتماعية اللاهية، فكان بشار وأبو نواس والحسين الخليل ومطيع بن إياس وصالح بن عبد القدوس ينزعون إلى الترف واللذة، ومنهم من كان يهدم القديم ويكتفي بالشك والمجون ويغرق في اللهو والعبث، وكانوا يعقدون المجالس والأندية لهذا الغرض، مما اضطر بعض الخلفاء من بني

سادت فيها تلك العادات حتى غدت عنواناً عند بعض طبقات المجتمع العباسي، فهي ثورة على التقاليد الاجتماعية السائدة، ساعدها في ذلك تعدد العناصر المكونة للمجتمع، وتعدد الثقافات، مما جعل الشعراء يدافعون عن مجونهم وتمردهم أمام الخليفة، وكأن الحدث أمر عادي ومألوف، لا بل يطالبون بإيجاد التفسير، إذا حبس بعضهم على شرب أو سكر يوماً ما، نجدهم يفضلون السجن ضمن فئات معينة من المجتمع، وهذا ما وجدناه في شعر أبي دلامة الذي خاطب فيه أمير المؤمنين حينما سجنه مع الدجاج، لنشوة انتابته وسكرة فعلها، وهي لا تعد تهمة يُسجنُ عليها الفرد، من وجهة نظره، يقول:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَتَكَ نَفْسِي  
عَلَامَ حِسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي؟  
أَمِنْ صَهْبَاءَ رِيحِ الْمِسْكِ فِيهَا  
تَرْقُرُقُ فِي الْإِنَاءِ لَدَى الْمِزَاجِ  
عَقَارٌ مِثْلُ عَيْنِ الدِّيكِ صَرَفٌ  
كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ  
وَقَدْ طَبَخْتَ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى  
لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النُّطْفِ النَّضَاجِ  
تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا  
إِذَا بَرَزَتْ تَرْقُرُقُ فِي الرُّجَاجِ (52)

لجأ الشاعر إلى استخدام الأصوات الصغيرية استخداماً واضحاً في هذا المقطع، مثل أصوات السين والصاد والشين، وجاءت الأصوات في سياق الجمل؛ لتحديث صغيراً عالياً ومتدفقاً، مما يوحي هذا الارتفاع والانخفاض بهذه الأصوات بحركة نفسية مضطربة وقلقة وغير مستقرة؛ لتعكس نفسية الشاعر التي تحمل قدراً من الصراع الداخلي، فهو لا يلبث في مقام ذهني ولا يستقر على حال اجتماعي، فهو بين سكر وصحو، بين المقبول والمرفوض، بين ما يطلبه نفسه وما يطلبه المجتمع، بين ما يطلبه هواه وما يطلبه الدين.

العباس إلى أن يشنوا حرباً عليهم، وبخاصة بعد أن راحوا يتلاعبون بالسياسة<sup>(47)</sup>، وربما لهذا السبب اتهم بالزندقة والمجون والاستهانة بالدين، فجاءت زندقته زندقة اجتماعية، اتخذها وسيلة للتطرف وحسن المناداة والانطلاق من قيود المجتمع<sup>(48)</sup>.

ففي ظل الظروف الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية المضطربة المتصارعة، تبدو ظاهرة الزندقة أو الإلحاد ضرورة حتمية، كما يزعم مصطفى هدارة<sup>(49)</sup>، ومن الأسباب التي ساعدت على بروزها في ذلك العصر، النهضة العلمية التي بدأت منذ أواخر العصر الأموي، وأعطت ثمارها في العصر العباسي، وتراوحت بين العلوم الفلسفية الجدلية والعلوم التجريبية وهذه النهضة هي التي حركت العقول وأعطتها الحرية في التفكير، فحرفت بعض المشتغلين بها إلى ضروب من الإلحاد والضياع<sup>(50)</sup>، فمن الطبيعي أن نجد هذه المجاهرة بهذا الفكر نابعة من طبيعة المجتمع وتركيبته آنذاك، يقول:

إِنِّي اضْطَبَحْتُ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ  
فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بَرَّاسِي  
فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ؟ (51)

جاءت قافية السين المكسورة في نهاية الأبيات؛ لتساهم في تصميم الإحساس بالتمرد وتشيع في القصيدة نوعاً من الصراع الداخلي؛ لاتساع مجراها ووضوحه. وختم هذا المقطع بسؤال يحمل معنى التعجب والإنكار من هذا اللوم، وكأنه يقارن بين صورتين تتنازعان وتتمازجان في نفسه، صورة فكره وعقيدته الدينية التي يراها مع بني العباس، وصورة ذهنية غائبة حاضرة، وهي صورة الواقع الذي يقوم به والتمرد الذي يحاول أن يجعله نهجاً يسير ويصر عليه، فهذا التمرد والعلو فيه، يعد جرأة على الواقع الذي عاشه الشاعر في ظل الخلافة العباسية التي

للفرس في العصر العباسي، فجهروا بشعوبيتهم من غير تعريف<sup>(56)</sup>، ولعل أبا الفرج بنى حكمه على أبي دلامة، بالاعتماد على ما أورده - هو نفسه - من أقوال وأخبار، جعله فيها بعيداً عن الدين، وأنه لا يحضر صلاة ولا يدخل مسجداً<sup>(57)</sup>.

وصف شاعرنا الخمر فأكثر من التشبيهات والصور الفنية فيها، وكأنها عروس حار أمره فيها سنين طويلة حتى وجدها، فيقول فيها: «ريح المسك - ترقق في الإناء - شعاعها لهب السراج - تهش لها القلوب وتشتهيها»، فأوصافها تجمع بين الخفة واللذة، تصلح لأن تكون لمحوبة أرادها الشاعر، هذا وقد وردت بكثرة في ديوانه<sup>(58)</sup>. إن المجاهرة في عرض السلوك الشخصي ظاهرة طبيعية، يكشف فيها الإنسان عن سلوكه اليومي بصورة صريحة، إلا أن صعوبة الأمر تزداد تعقيداً حينما يفضل شاعر مثل أبي دلامة الشرب واللهو على الحج، بعد أن أعطي المال لهذا الغرض، وهذا يدل على مدى التحلل الاجتماعي عنده، روى صاحب الأغاني: فقال: «عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج، فقال لأبي دلامة: أحجج معي ولك عشرة آلاف درهم، قال: هاتها، فدفعته إليه، فأخذها وهرب إلى السوار، فجعل ينفقها هناك، ويشرب بها الخمر، فطلبه موسى، فلم يقدر عليه وخشي فوات الحج، فخرج فلما شارف القادسية، إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى، وهو سكران، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في محمل بين يديه، ففعل ذلك به، فلما سار غير بعيد، أقبل على موسى قائلاً:

يا أيها الناس قولوا أجمعين معاً  
صلى الإله على موسى بن داود  
كان يبيجتي خدي من ذهب  
إذا تشرف في أثوابه السود  
أما أبوك فعين الجود نعرفه  
وأنت أشبه خلق الله بالجود

كما تمتزج في هذا المقطع الرؤيوية الدرامية بالرؤيوية القصصية عند الشاعر، فالدراما هي ذلك الصراع الذي يدور بين نقيضين في هذا المقطع، في حين أدت الحكاية إلى ربط الأحداث وتسلسلها، بحيث اعتمدت على الحدث الذي جسد التجربة الحقيقية وإبراز الانفعال فيها، مع إدراك الشاعر لذلك، فالصناعة الدرامية هنا، جمعت عناصر القص والحوار والقصصية والصراع، وصاغته صياغة شعرية خاصة، أدت إلى إظهار طاقات الشاعر الفنية، واستيعاب تجربته الشعرية التي ساعدت المستويات الفنية على إظهارها ودعمها في المظهر الفني لتجربة الشاعر.

كرر ابن المعتز ما رواه الأصفهاني عن أبي دلامة، فقال فيه «كان ماجناً خليعاً»<sup>(53)</sup>، وهذا يدخل ضمن الزندقة الاجتماعية التي اتخذها أصحابها وسيلة من وسائل التظرف وحسن المناداة على التحرر والانطلاق من قيود المجتمع<sup>(54)</sup>، وهي زندقة اجتماعية دفعه إليها مزاجه الشخصي وضغط الحياة القاسية التي عاشها في نهاية الدولة الأموية، إضافة إلى نشأته في الكوفة التي أمضى شبابه فيها، وكانت مكاناً خصباً للهو والانحراف، وكان عند الخلفاء بمنزلة المسلي والمرفه أو المضحك لهم، فجعلهم يغضون الطرف عنه وعن إباحته، ولا نستغرب هذا القول من شاعر عاش في مجتمع برزت فيه الشعوبية وقويت شوكتها، مما أدى إلى نشر معتقداتها، كالزندقة، المستمدة من ديانات الفرس القديمة: زرداشتيه ومانويه ومزدكيه، وأغلب الظن أن المانوية كان أكثرها تأثيراً في عقول بعض الناس وقلوبهم في العصر العباسي<sup>(55)</sup>، اتصف شاعرنا بجرأة جعلته يخاطب الخليفة دون وازع أو معيق، يتحدث فيها عن الخمر، وكأنها موضوع إنساني عادي، يجد من نفسه مدافعاً وقاضياً، ينفي التهمة عنه. كما كانت الحياة السياسية والاجتماعية موالية

وَتَسْرَبُوا قُمْصَ الْكَسَادِ فَحَاوَلُوا

بِالنَّخْسِ كَسْبًا يَذْهَبُ الْإِفْلَاسَا (60)

تلين اللغة إذا لانت حياة أصحابها، فهي بنت البيئة، كما كان لشيوع مظاهر الرقة والترف، أثر في لغة أبي دلالة، فمال إلى الرقة، وهذا ما أطلق لبعض العواطف عنانها وحريتها، فأصبحت ألفاظه سهلة بسيطة، وهي ألفاظ احتفظت ببعض الطوابع العربية القديمة وأضافت إليها ألفاظاً رقيقة عذبة تتناسب والعصر العباسي، عصر الترف واللذة.

تميز الشعر الاجتماعي عند أبي دلالة بنزعة التحرر من السلطة والنفور - أحياناً - منها، فقد خرج عن عرف المجتمع، وساعده على ذلك أمران، أحدهما: قوة السلطان؛ إذ كان يتكلم بعلمه وعلى مرأى ومسمع منه، وهذا ما جعله يشعر بالقوة والاستمرارية، والثاني: أنه من أفراد المجتمع وطوائفه الذين تحللوا من روابطه، فلم تكن عادات المجتمع وتقاليده لتقف في وجهه، فلذلك، وفي هذه الحالة، إن من الصعب القول الجازم بأن المجتمع قد رفض أبا دلالة، أو أن أبا دلالة هو الذي رفض المجتمع من خلال محاولة تحديد ردود فعل المجتمع لوجود من يحاول تعكير صفوته ومدى الهيمنة الاجتماعية في التعامل مع هذا الفرد لرفضه أو نبذه، وإنما هذا هو الواقع الذي يقبل أبا دلالة وهذا أبو دلالة يسير في هذا الواقع، فما فعله اجتماعياً، لم يكن مرفوضاً رفضاً قاطعاً، وإنما كان يتحرك في دائرة تسمح السلطة له - كما سمحت لغيره- بالتحرك، ولكن إذا ما وصلت إلى مكان غير مرغوب فيه، كالزندقة مثلاً ورفض الدين أو جزء منه، فإن السلطة لم تكن لتقف مكتوفة الأيدي، وإنما كانت لتضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه التحرك في مثل هذه القضايا.

نُبْتُ أَنْ طَرِيقَ الْحَجِّ مَعْطَشَةٌ

مَنْ الطَّلَاءِ وَمَا شُرْبِي بِتَصْرِيدٍ

وَاللَّهِ مَا بِي مِنْ خَيْرٍ فَتَطْلُبْنِي

فِي الْمُسْلِمِينَ وَمَا دِينِي بِمَحْمُودٍ

إِنِّي أَعُوذُ بِدَاوُدَ وَتَرْبَتِهِ

مَنْ أَنْ أَحَجَّ بِكُرْهِ يَا بَنَ دَاوُدَ (59)

إن هذا المقطع له أهمية خاصة، فهو نقطة الارتكان، ولحظة الانفجار العنيفة التي لم تتحملها نفس الشاعر، فباحث به للمجتمع، فكان اختيار الأصوات المهموسة بوعي أو بلا وعي متنفساً للشاعر للخروج على المجتمع وتقاليده، ثم جاءت أصوات الطاء والصاد والعين التي تحمل صفة التحدي والانفجار تتردد بانتظام؛ لتعبر عن صوته الخارجي تجاه المجتمع، في حين أدت أصوات اللين (الألف والواو والياء) وأشباه اللين دوراً فعالاً في تخفيض الإحساس بالتمرد واستمراريته.

فهو يعكس واقع بعض الشعراء الذين عاشوا في ذلك العصر وكانوا على شاكلته، ومما رواه صاحب الأغاني عن حب أبي دلالة للخمرة والنساء، بعض الأبيات التي يصر فيها على ما هو خارج عن العادات والتقاليد يقول: «مر أبو دلالة بنخاس يبيع الرقيق، فرأى عنده منهن من كل شيء حسن، فأنصرف مهموماً، فدخل إلى المهدي، فأنشده:

إِنْ كُنْتُ تَبْغِي الْعَيْشَ حُلُوءًا صَافِيًا

فَالشُّعْرُ أَعْزَبُهُ وَكُنْ نَخَاسَا

تَنَلِ الطَّرَائِفَ مِنْ ظُرَافِ نَهْدٍ

يُحْدِثَنَّ كُلَّ عَشِيَّةٍ أَعْرَاسًا

وَالرَّبْحُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ رَاهِنٌ

سَمَحًا بِبَيْعِكَ كُنْتُ أَوْ مَكَّاسَا

دَارَتْ عَلَى الشُّعْرَاءِ حُرْقَةُ نَوْبَةٍ

فَتَجَرَّعُوا مِنْ بَعْدِ كَاسٍ كَاسَا

**الخاتمة:**

إن دراسة ظاهرة التمرد في شعر أحد شعراء العصر العباسي من خلال قراءة نصوصه وتحليلها، وما أفرزته من أحداث وتناقضات، لا تخلو من وجود بعض جوانب الخطر الديني والاجتماعي، إذا ما قيس بالذي تعارف عليه الناس في ذلك العصر، ومنها:

طبيعة الحياة الاجتماعية، وما ظهر فيها من مجون، جعل الشاعر يفضل الخمر وشربها على السير وفق الشرائع الدينية والفرائض المطلوبة، كما وجد في ممارسة الحياة على ذلك النحو اللاهوي العايب إعلاناً عن حرّيته في السلوك وفي العقيدة جميعاً، حتى إنه كان يجاهر بالقول، لا يخشى - أحياناً - جرح الذوق العام أو صدمه، ويبدو أن المجتمع نفسه لم يصدم به، بل تقبله وتقبل سلوكه وأشعاره الماجنة، مما جعل التناول على المجتمع أمراً يكاد يكون مقبولاً، دون أدنى خوف أو رهبة من السلطان، فالشاعر يشاهد الواقع حوله بمنظاره الذاتي، وليس من المنظار الاجتماعي، فهو يسقط الكثير من اعتباراته، بينما يؤكد بعض الجوانب ويصب عليها اهتمامه.

وربما كان للحركات الدينية المتطرفة كالمانوية والزرادشتية أثرٌ في فكر أبي دلامة، وألفاظه وموقفه من الدين الإسلامي، وبخاصة أن هذه الحركات راحت تصول وتجول في مجتمع العصر العباسي، الأمر الذي انعكس على ضعيفي الإسلام في المجتمع، فأصبح لا يهمه أن يتحدى مجتمعه، فيتجاوز قيمة اجتماعية في سبيل متعة، وراح يجاهر بالمعصية ويعلن التمرد من خلال مواقف متكررة في أشعاره، وهذا لم يكن ليحدث لولا موافقة أولي الأمر آنذاك على ما يقوله أبو دلامة، فإذا كان الخليفة أو من يمثلته يتقبل مثل هذه القضايا فماذا نتوقع من أبي دلامة وغيره من الشعراء؟

إن فكر الشاعر يؤخذ من فكر المجتمع وتعاليمه، وهذا ما حصل مع أبي دلامة، فلم يرفضه المجتمع؛

لأنه لم يأت بجديد، وإنما طبيعة المجتمع آنذاك كانت تتقبل مثل هذه الأشعار، وبالتالي هو لم يخرج عما يطلبه المجتمع.

**الهوامش:**

1. عطوان، حسين: مقدمة القصيدة العربية، ط دار المعارف، مصر، د.ت: 15.
2. نور الدين، حسن جعفر: شعراء التمرد في الأعصر العباسية، ط رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، ط، بيروت، 2003: 16.
3. أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ط مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ط2، 1933: 132 / 1 - 133.
4. متولي، عبد الستار السيد: أدب الزهد في العصر العباسي، ط مصر، 1984: 11.
5. ينظر ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، ط دار المعارف، مصر، ط2، 1969: 282 - 283.
6. ينظر، نور الدين، حسن جعفر: شعر التمرد في الأعصر العباسية: 161 - 162.
7. المرجع السابق: 246.
8. المرجع السابق: 245.
9. ينظر الجهشيارى، أبو عبدالله بن عبدوس: الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1938: 87 - 117.
10. ينظر، حسين، طه: من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول - ط دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1979: 76.
11. ينظر، إسماعيل، عز الدين: في الأدب العباسي - الرؤية والفن - ط دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1975: 265.
12. ينظر الأصفهاني، الأغاني: 407 / 10 - 408، وينظر في الكتب التي ترجمت له: - ابن المعتز، طبقات الشعراء: 84.

23. كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1986: 178.
24. إسماعيل، عز الدين: في الأدب العباسي: 265.
25. سلطان، منير: بلاغة الكلمة والجملة والجمال: ط منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1993: 135.
26. أبو دلامة، ديوانه: 65-66.
27. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار النهضة المصرية، القاهرة، 1948: 320 / 2 - 321، وحمادة بنت عيسى هي زوجة المنصور، وعيسى المذكور هو عم المنصور.
28. إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة والضحك، ط مصر، د.ت: 106.
29. أبو دلامة، ديوانه: صفحات: ( 47، 61، 71، 109، 112 )
30. أبو دلامة، ديوانه: 43.
31. ينظر العشماوي، محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ط دار المعرفة مصر، ط1، 1999: 62 - 63.
32. أبو دلامة، ديوانه: 128، وينظر ديوانه صفحة: ( 71، 129 )
33. الأصفهاني، الأغاني: 415 / 10.
34. أبو دلامة، ديوانه: 76.
35. العشماوي، محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي: 171.
36. أبو دلامة، ديوانه: 122 - 123.
37. المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي: آمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الكتاب العربي، بيروت، 1967: 127 / 1.
38. أبو دلامة، ديوانه: 122 - 123.
39. الأصفهاني، الأغاني: 413 / 10.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر 314 / 4.
- الجهشياري: الوزراء والكتاب 87 - 117.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 320 / 2 - 321.
- النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب: 36 / 4.
- حسين، طه: من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: 76.
- ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول: 295.
13. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1997: 407 - 408.
14. بن المعتز، عبدالله: طبقات الشعراء، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998: 84.
15. النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة 36 / 4.
16. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار الثقافة بيروت، 1964: 661 / 2.
17. اليافعي، عبدالله بن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، د.ت / 341.
18. لسان العرب، مادة ( مَرَدَ )
19. سورة التوبة، آية 10.
20. لسان العرب، مادة مَرَدَ.
21. المطارنة، خولة محمد زايد: العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد، جامعة مؤتة، كلية العلوم التربوية، قسم علم النفس، رسالة ماجستير، مخطوطة، 1995: 7.
22. أبو دلامة، ديوانه: تحقيق إميل بديع يعقوب، ط دار الجيل، بيروت، 1994: 64 - 66.

40. أبو دلامة، ديوانه: 117.
  41. ينظر علي السيد، عز الدين: التكرير بين المثير والتأثير، ط عالم الكتب، ط2، 1986: 613.
  42. أبو دلامة، ديوانه: 57.
  43. حسين، طه: حديث الأربعاء، ط دار المعارف، مصر، 1958: 81.
  44. المقدسي، أنيس: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط دار العلم للملايين، بيروت، ط11، 1977: 54 وما بعدها.
  45. الأصفهاني، الأغاني: 10/431، كما وردت الأبيات في الديوان: 43.
  46. الرباعي، عبد القادر: عرار ( الرؤية والفن قراءة من الداخل ) ، ط أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2000: 108.
  47. ينظر زكي، أحمد: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ط دار المعارف، مصر، 1971: 117.
  48. داود، جرجس: الزندقة والزنادقة في الأدب العربي من الجاهلية وحتى القرن الثالث الهجري، ط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2004: 273.
  49. هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، ط دار المعارف، مصر، ط2، 1970: 231.
  50. المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط3، 1958: 314/4.
  51. أبو دلامة، ديوانه: 71 - 72.
  52. المصدر السابق: 129 - 130.
  53. ابن المعتز، عبدالله، طبقات الشعراء: 60.
  54. هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري: 244.
  55. الحوفي، أحمد محمد: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ط دار النهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط3، 1978: 127 - 128.
  56. المصدر السابق: 152.
  57. ضيف شوقي، العصر العباسي الأول: 296.
  58. أبو دلامة، ديوانه: صفحات: ( 40، 48، 62، 71، 95، 110 )
  59. أبو دلامة، ديوانه: 58 - 59.
  60. المصدر السابق: 69 - 70.
- مصادر البحث ومراجعته**
- اعتمدت في هذا البحث على ديوان "أبي دلامة" تحقيق إميل بديع ط دار الجيل. بيروت. 1994؛ لأنها طبعة خلت من التصحيف والتحريف الموجود في طبعات أخرى لمحققين آخرين. وفيما يلي قائمة بالمصادر والمراجع التي أفاد منها البحث:
1. القرآن الكريم.
  2. إبراهيم، زكريا: سيكولوجية الفكاهة والضحك، ط مصر، مصر، د.ت.
  3. إسماعيل، عز الدين: في الأدب العباسي - الرؤية والفن - ط دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1975.
  4. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن: الأغاني، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1997.
  5. أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ط مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ط2، 1933.
  6. التطاوي، عبدالله: النظرية والتجربة عند أعلام الشعر العباسي، ط دار غريب، القاهرة، ط1، 1999.
  7. الجهشياري، أبو عبدالله بن عبدوس: الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1938.
  8. حسين، طه: حديث الأربعاء، ط دار

- المعارف، مصر، 1958.
9. حسين، طه: من تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول - ط دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1979.
10. الحوفي، أحمد محمد، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط3، 1978.
11. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار النهضة المصرية، القاهرة، 1948.
12. داود، جرجس: الزندقة والزنادقة في الأدب العربي من الجاهلية وحتى القرن الثالث الهجري، مجد للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.
13. الرباعي، عبد القادر: عرار (الرؤية والفن قراءة من الداخل)، ط أزمدة للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
14. زكي، أحمد: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ط دار المعارف، مصر، 1971.
15. زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، تحقيق حسين مؤنس، ط دار الهلال، د.ت.
16. سلطان، منير: بلاغة الكلمة والجملة والجميل، ط منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1993.
17. ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، ط دار المعارف، مصر، ط2، 1969.
18. علي السيد، عز الدين: التكرار بين المثير والتأثير، ط عالم الكتب، ط2، 1986.
19. العشماوي، محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ط دار المعرفة، مصر، ط1، 1999.
20. عطوان، حسين: مقدمة القصيدة العربية، ط دار المعارف، مصر، د.ت.
21. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: الشعر و الشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار الثقافة، بيروت، 1964.
22. كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1986.
23. متولي، عبد الستار السيد: أدب الزهد في العصر العباسي، ط مصر، 1984.
24. المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي - أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.
25. المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية الكبرى، ط3، مصر، 1958.
26. ابن المعتز: طبقات الشعراء، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998.
27. المقدسي، أنيس: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط دار العلم للملايين، بيروت، ط11، 1977.
28. ابن منظور، لسان العرب.
29. نور الدين، حسن جعفر: شعر التمرد في الأعصر العباسية، ط رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003.
30. النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة.
31. هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، ط دار المعارف، مصر، ط2، 1970.
32. اليافعي، أبو محمد عبدالله بن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط دار المعارف العثمانية، حيدر آباد

، د. ت .

الرسائل الجامعية

33. المطارنة ،خوله محمد زايد: العلاقة بين

الضغوط النفسية والتمرد ،جامعة مؤتة ،كلية

العلوم التربوية ،قسم علم النفس ،رسالة ماجستير،

مخطوطة ، 1995 .